

الأورادُ في حياة الصالحين

نُشر في مجلة الإسراء عدد ١٠١

عمار توفيق أحمد بدوي /مفتي طولكرم/فلسطين

اتسمت حياة الصالحين باستغراق العبودية لله ﷻ، فغدت سنيَّ عمرهم كواكبَ نيرات، تضيء جوانح النفوس التقيّة النقيّة، وهناك جملة أسرار تختفي وراء أولئك الرجال العظام، والأعلام الفخام. وعند تحليل تلك الأسرار، وجدنا أنّ تلك العظمة تتكى على زاد روحي وفير، وإغراق عميق في سلسلة الوصل بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، والابتهالات الساطعات في دياجير الظلم، والركعات النفيسات في جوف الليالي الداجيات. ورأيت نسقاً أليماً لأولئك العظام؛ جعلوه ورداً معهوداً، لا يجيدون عنه غدواً وعشيّاً. واجتهد كثير منهم بأوراد مقتبسة من القرآن الكريم، والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، وازدانت بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وصنوف الذكر العاطر، وسمّي ذلك ورداً. وهذه الدراسة المقتضبة تضعنا في صورة الورد، من حيث المعنى والأهمية في حياة الصالحين.

معنى الورد في اللغة.

جذر الورد، هو الفعل وَرَدَ. و"الواو، والراء، والذال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء"^(١).

"والورد: من أسماء الحُمى، وقيل هو يومها. والوردُ ورودُ القوم الماء. والورد: الماء الذي يورد. والورد: الإبل الواردة. والورد: وقت يوم الورد بين الظمأين، والوردُ: اسم من ورد يوم الورد. وما ورد من جماعة الطير، والإبل وما كان، فهو وِرْدٌ. تقول: وَرَدَتِ الإبل، والطير هذا الماء وِرْدًا، وَوَرَدَتْهُ أوردًا. وإنما سُمِّي النصب من قراءة القرآن وِرْدًا من هذا. والورد خلاف الصَّدر. والورد: الورَّاد وهم الذين يردون الماء. والوردُ: النصب من الماء.

والورد: النصب من القرآن؛ تقول: قرأت وِردي. والأورد جمع وِرْد، وهو الجزء. ويقال: لفلان كلَّ ليلة وِرْد من القرآن يقرؤه؛ أي مقدار معلوم. يقال: قرأ وِرده وِحزبه؛ بمعنى واحد. والورد: الجزء من الليل؛ يكون على الرجل يصلية"^(٢).

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. باب الواو والراء وما يتلثهما. ج٦ ص١٠٥.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. بيروت: دار صادر. فصل الواو. ج٣ ص٤٥٧-٤٥٨، ٤٦٠. وينظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والحديث. تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج٥ ص٣٨١.

معنى الوِرد في الاصطلاح:

العرض السابق لمعنى الوِرد في اللغة؛ أعطى تشعباً لمعناه، والمعنى الاصطلاحي سيأخذ تفرعات عدّة؛ وذلك حسب موقع استعمال هذا المصطلح. فالورد القرآني له معنى، وورد التسييح له معنى، وورد المناجاة له معنى آخر.

ويطيب لي القول هنا: إن إبداع اللغوي "ابن فارس ت ٣٩٥هـ" - كالعادة - لفت انتباهي؛ فقد أصابت نظره اللغوية الثابتة، مَكْمَن التعريف الذي منه نستطيع تحقيق القول في المعنى الاصطلاحي للورد.

قال ابن فارس: "الواو، والراء، والذال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء"^(١). وهذا يعني؛ أن الفعل وَرَدَ يصل بك، ويوفيك إلى شيء آخر. فإن وردت الماء؛ وفيت إلى بلّ الصدى وذهاب الظمأ، وهذا وِرِد. وإذا وَرَدَت القرآن؛ فقرأته؛ فيوفيك وروده إلى هدايته، وأنواره، وهذا وِرِد. وإذا وردت باب مناجاة الله ﷻ؛ فأوصلتك إلى حماه، وغمرتك أنوار هدايته؛ فهذا وِرِد المناجاة.

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. باب الواو والراء وما يتلثهما. ج ٦ ص ١٠٥.

أقول: "الْوَرْدُ حَبْلٌ يَصِلُ الْمَرْءَ إِلَى مَقْصِدٍ يَطْلُبُهُ"، وَسَمِّي الْوَرِيدُ وَرِيداً؛
لأنَّ "الْوَرِيدَ عِرْقٌ يَتَّصِلُ بِالْكَبِدِ وَالْقَلْبِ، وَفِيهِ مَجَارِي الدَّمِ"^(١).

وهناك تعريفات للورد عند أهل التصوف منها:

❖ " ما يرتبه العبد على نفسه، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار،
والعبادات"^(٢).

❖ وهو: "مجموع أذكار وأدعية بقصد مناجاة الرب ﷻ، والتذلل بين يديه
وفاء بحق العبودية له"^(٣).

❖ والورد: "يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحاً
بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب"^(٤).

❖ وقولهم: "إنَّ وِرْدَ الْإِنْسَانِ هُوَ مَا رَتَّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ،
والعبادات"^(٥).

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن. ط١. ضبطه وصححه

إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ص٥٩٢.

(٢) ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني: إيقاظ الهمم في شرح الحكم. [شرح الحكم العطائية].
بيروت: المكتبة الثقافية. ص٢٠٩.

(٣) الشبروي، عمر بن جعفر: إرشاد المريدين في معرفة كلام العارفين. امج. ص٧. لم تظهر
على هذه النسخة رقم الطبعة ولا بلد النشر، فالغلاف الخارجي غير موجود.

(٤) عيسى، عبد القادر: حقائق عن التصوف. امج. عمان: المطبعة الوطنية.
١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص٢٢٦.

أهمية الأوراد في حياة الصالحين.

ثبت ذكر المعنى الاصطلاحي للورد، في حديث النبي ﷺ؛ فعن عبد الرحمن بن عبد القاري رحمه الله قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ "من نام عن حزبه أو عن شيء منه؛ فقرأه فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر؛ كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل"^(١).

و"الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة، أو صلاة كالورد"^(٢).
وسمّي الورد؛ الوظيفة من قراءة، ونحو ذلك^(٣).

واهتم العلماء بحساب عدد ركعات صلاة الفرض، والراتبة، والنافلة التي كان النبي ﷺ يصلّيها، وعدّوا ذلك من ورده ﷺ، وأطلقوا مصطلح الورد على ذلك. وعن هذا الورد، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "كان مجموع ورده [ﷺ] الراتب بالليل، والنهار أربعين ركعة، كان [ﷺ] يحافظ

(١) حوى، سعيد: تربيّتنا الروحية. بيروت، دمشق: دار الكتب العربية. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ص١٠٣.

(٢) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج: صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب صلاة المسافرين. باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض. رقم الحديث ١٤٢. ج١ ص٥١٥.

(٣) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ج١ ص٩٤٥. وينظر: الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. ٢مج. بيروت: المكتبة العلمية. ج١ ص١١٣.

(٤) الفيومي: المصباح المنير. ج٢ ص٦٥٥.

عليها دائماً؛ سبعة عشر فرضاً، وعشر ركعات، أو اثنا عشرة سنة راتبة، وإحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل، والمجموع أربعون ركعة"^(١).

وقال ابن القيم: "فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الورد دائماً إلى الممات؛ فما أسرع الإجابة، وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم، وليلة أربعين مرة، والله المستعان"^(٢).

ومما يدل على المحافظة على الأوراد حتى الممات؛ قول ابن عطاء السكندري: "الورد ينطوي بانطواء هذه الدار"^(٣).

ومن العلماء من عدّ الأوراد علماً من العلوم؛ ومنهم من صنفها ضمن صنوف علم الحديث الشريف^(٤).

ولأهمية الأوراد في صقل النفس الإنسانية، وتهذيب سلوكها، وتزكيتها؛ أفرد حجة الإسلام الشيخ أبو حامد الغزالي، الأوراد بعنوان؛ هو "كتاب

(١) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد. ط ١. تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج ١ ص ٣٢٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد. ج ١ ص ٣٢٧.

(٣) ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم. ص ٢٠٩.

(٤) ينظر: القنوجي، صديق بن حسن: أبجد العلوم الوشي المرقوم في أحوال العلوم. تحقيق عبد الجبار زكار. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٧٨م. ج ٢ ص ١٨، ١١٨.

الأوراد"، وفصّله في كتابه "إحياء علوم الدين"^(١). وبوّب الأوراد، وقسمها على مدار اليوم الليلة. قال: "واعلم أنّ أوراد النهار سبعة، وأوراد الليل خمسة"^(٢).

والورد قائم على نظريات؛ منها نظرية استثمار الوقت بكل ما هو نافع. قال الإمام الغزالي رحمه الله: "فالغافل في نفسٍ من أنفاسه؛ حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى؛ متعرض في يوم التغابن لغيبته، وحسرة ما لها منتهى؛ ولهذا الخطر العظيم، والخطب الهائل؛ شمّر المشمرون عن ساق الجدِّ، وودّعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتموا بقايا العمر، ورتّبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على إحياء الليل، والنهار؛ في طلب القرب من الملك الجبار، والسعي إلى دار القرار؛ فصار من مهّمات علم الطريق؛ تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد، وتوزيع العبادات"^(٣).

(١) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة. ج١ ص٣٣١.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين. ج١ ص٣٣١، ٣٤١.

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين. ج١ ص٣٣٠.

ولابن عطاء السكندري - صاحب الحكم العطائية - كلام نفيس، في
الورد قال: "لا يستحق الورد إلا جهول"^(١). "وكيف يُستحق الورد، وبه
يكون الورد على الملك المعبود؟"^(٢).

واكتسبت الأوراد أهمية بالغة في حياة الصالحين؛ وهذا يتجلى في كثير من
الروايات عنهم، وما نقل عن أحوالهم رحمهم الله تعالى.

ومما يؤثر عن الصالحين؛ أنهم حافظوا على الأوراد إلى آخر لحظة في
حياتهم؛ فقد روى ثابت البناني قال: "ذهبت إلى أبي وهو في الموت، فقلت
له: يا أبت، قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني خلّ عني؛ فإني في وردي
السادس، أو السابع"^(٣).

وعن سليمان بن يسار، قال: "أصبح أبو أسيد، وهو يسترجع؛ فقيل له:
مالك؟ قال: نمت عن وردي الليلة؛ فرأيت كأن بقرة تنطحني"^(٤).

(١) ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم. ص ٢٠٩.

(٧) ابن عجيبة: إيقاظ الهمم في شرح الحكم. ص ٢٠٩.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: الثبات عند الممات. ط ١. تحقيق عبد الله
الليثي الأنصاري. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ١٤٠٦هـ. ص ١٤٦. ابن الجوزي، أبو
الفرج عبد الرحمن بن علي: صفة الصفوة. ط ٢. تحقيق محمود فاخوري والدكتور محمد
رواس قلعه جي. بيروت: دار المعرفة. ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ج ٣ ص ٢٦٣.

(٤) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد: المنامات. ط ١. تحقيق عبد القادر عطا. بيروت:
مؤسسة الكتب الثقافية. ١٤١٣هـ/١٩٩١م. ص ٩٨. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن

وقال أبو سليمان الداراني: نمت ذات ليلة عن وِردِي؛ فإذا بحوراء تنبهي، وتقول: يا أبا سليمان، تنام وأنا أُرَبِّي لك في الخدور منذ خمسمائة عام"^(١).

وقال محمد بن إبراهيم: "رأيت الجنيد في النوم؛ فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار، وتذاكروا بين يديه أهل المعرفة وما استهانوا به من الأوراد، والعبادات، بعد ما وصلوا إليه. فقال الجنيد: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك. وقال: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول [ﷺ]، واتبع سُنَّته، ولزم طريقته، فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه"^(٢).

محمد: التهجد وقيام الليل. ط ١. تحقيق مصلح بن جزاء الحارثي. الرياض: مكتبة الرشد. ١٩٩٨م.

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة. ج ٤ ص ٢٢٤.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ط ٢. تحقيق محمد حامد الفقي. بيروت: دار الكتاب العربي. ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. ج ٣ ص ١٢١.

وقال الأستاذ سعيد حوى: "فالأوراد اليومية في حياة المسلم؛ هي زاده
اليومي الذي لا ينبغي أن يهمله، وعلى هذا؛ فإننا ندعو كل مسلم أن يرتب
لنفسه ورده اليومي، ويدخل في ذلك تنظيم أوقاته"^(١).

(١) حوى: تربيئنا الروحية. ص ١٢٣.